الصاعقة الثانية بعد المئة: أراعَ كذا كلَّ الأنامِ هممُ(*)

أراعَ كـــذا كلَّ الأنـامِ همـــامُ ... وسحّ له رسلَ الملوكِ غـــمـــامُ

ودانتْ له الدنيـا فـأصبحَ جـالسًـا ... وأيامُـهـا فـيـمـا يريدُ قـيـامُ

إذا زارَ سـيفُ الدولةِ الرومَ غـازيًا ... كـفـاها لمامٌ لو كـفـاهُ لمامُ(١)

فـتى تتبعُ الأزمـانُ في الناسِ خطوهُ ... لكـلِّ زمـانٍ في يديْـهِ زمـامُ

تـنامُ لديكَ الرسلُ أمنًا وغـبطةً ... وأجـفـانُ ربِّ الرسلِ ليس تنامُ

حـذارًا لمعـروري الجـيـادِ فُـجـاءةً ... إلى الطَّعنِ قـبلًا مـا لهنَّ لجـامُ(٢)

تعطَّفُ فـيـه والأعنَّةُ شـعـرُها ... وتضـربُ فـيـه والسـيـاطُ كـلامُ

ومـا تنفعُ الخـيـلُ الكرامَ ولا القنا ... إذا لمْ يكنْ فـوقَ الكرامِ كَـرامُ

إلى كم تردُّ الرسلَ عـمّـا أتوا لهُ ... كـأنهم فـيـمـا وهبتَ مَـلامُ

فـإن كنتَ لا تُعطي الذمـامَ طواعـةً ... فـعـوذ الأعـادي بالكريمِ ذِمَـامُ

وإنَّ نـفـوسًـا أمَّـمـتْكَ منيـعـةٌ ... وإنَّ دمـاءً أمَّلـتْكَ حَـرَامُ

إذا خـافَ ملْكٌ منْ مليكٍ أجـرْتَهُ ... وسـيْـفَكَ خـافـوا والجـوارَ تُسـامُ

لهم عنكَ بالبـيضِ الخـفـافِ تفـرّقٌ ... وحـولكَ بالكتبِ اللطافِ زحـامُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها وقد ورد فرسان الثغور ومعهم رسول ملك الروم يطلب الهدنة، فأنشده إياها بحضرتهم.

(١) اللمام: الزيارة القليلة.

(٢) المعروري: الذي يركب الفرس عريانا.

تغـرّ حـلاواتُ النفـوسِ قلوبَهـا ... فـتـخـتـارُ بعض العيشِ وهو حِـمـامُ

وشـرُّ الحـمـامين الزؤامين عـيـشـةٌ ... يذلّ الذي يخـتـارُها ويُضـامُ

فلو كـانَ صلحًا لم يكنْ بشـفـاعـةٍ ... ولـكـنَّـهُ ذلٌّ لـهـمْ وغـرَامُ

ومنٌّ لفـرسـانِ الثـغـورِ عليـهمُ ... بتـبليـغـهِمْ مـا لا يكادُ يُرامُ

كـتـائبُ جاؤوا خـاضـعينَ فـأقدمُوا ... ولو لمْ يكونوا خـاضـعينَ لَخَـامـوا[1]

وعـزَّتْ قـديمًا في ذراكَ خـيـولُهم ... وعـزوا وعـامتْ في نداك وعَـامُـوا

على وجـهكَ الميـمـونِ في كلِّ غـارةٍ ... صـلاةٌ تـوالي منـهُمُ وسَـلامُ

وكـلُّ أناسٍ يتـبـعـونَ إمـامَـهُم ... وأنتَ لأهلِ المكـرمـاتِ إمَـامُ

وربّ جـوابٍ عنْ كـتـابٍ بعـثـتَـهُ ... وعـنـوانُه لـلـناظـرينَ قَـتَـامُ

تضـيقُ به البـيـداءُ من قـبل نشـرِه ... ومـا فُضّ بالبـيـداءِ عنه خِـتَـامُ

حـروفُ هجـاءِ الناسِ فـيـه ثلاثةٌ: ... جـوادٌ ورمحٌ ذابلٌ وحُـسَـامُ

أخا الحربِ قدْ أتعبتَـها فالهَ ساعةً ... ليُـغـمـدَ نصلٌ أو يحلّ حِـزامُ

وإن طالَ أعـمـارُ الرمـاحِ بهـدنةٍ ... فـإنَّ الذي يعـمُـرْنَ عندكَ عَـامُ

وما زلتَ تفني السُّمرَ وهي كثيرةٌ ... وتفني بهنّ الجـيشَ وهو لُهَـامُ[2]

متى عـادَ الجالونُ عـادتَ أرضـهمْ ... وفـيـهـا رقـابٌ للسـيـوفِ وهَامُ

---

(١) خاموا: جبنوا.

(٢) اللهام: الكثير.

وربّوا لك الأولادَ حتى تصيبَها وقدْ كعبت بنتٌ وشبّ غُلامُ
جرى معكَ الجارونَ حتى إذا انتهوْا إلى الغايةِ القصوى جريتَ وقَامُوا
فليسَ لشمسٍ مذْ أنرتَ إنارةٌ وليسَ لبدرٍ مذْ تممتَ تَمامُ

obeikandl.com